٧

هيكل.. والسادات!!

لم.. ولن ينس (هيكل) للسادات.. أنه هو من أمر ذات مساء بأخذه من بيته علي نيل الجيزة.. ليلقي به في غياهب سجن طُرة..

فما هى أسرار العلاقة بين الطرفين؟

نبدأ هذا الفصل بملاحظة هامة وهى أن (هيكل) كتب عن (السادات) أهم مؤلفاته وهو كتاب "**خريف الغضب**" ليسجل فيها أهم أحداث خريف ١٩٨١ التي أدت إلي مقتل الرئيس (السادات).. وتقريباً وظف معظم الكتاب للثأر من (السادات).. واغتياله سياسياً وتاريخياً بعد الاغتيال الجسدي الذي تعرض له على يديه.. ورغم أن الكتاب تأريخ مهم لهذه الفترة الخطيرة من حياة مصر.. فإن (هيكل) للأسف سيطرت عليه عقدة (السادات) أكثر من تحليه بالأسلوب العلمي المحايد في هذا الكتاب.

كما نبدأه أيضاً بآخر مستجدات العلاقة بين الإثنين.. وهو زوبعة اتهام (هيكل) للسادات بتسميم (عبد الناصر).. ونقول بدايةً أنه أكثر من مرة شرح (هيكل) خطط وسيناريوهات مختلفة لمحاولات اغتيال (عبد الناصر) قامت بها أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والإنجليزية والفرنسية وتورط في بعضها شاه إيران[1] ويروى عنه قوله أن رئيس وزراء الصين السابق شوين لاى بادر لبيب شقير بسؤال قائلاً:

"كيف سمحتم لـ (جمال عبد الناصر) أن يموت بهذه البساطة في هذه السن؟".. فرد عليه شقير قائلاً: "هذا قضاء وقدر".

لكنه فجر في برنامجه "**تجربة حياة**" مفاجأة مدوية.. ومن العيار الثقيل.. عندما طرح ولأول مرة اتهاماً غير مباشر للرئيس (السادات) بتسميم (عبد الناصر).. بعد قرابة الـ ٤٠ عاماً على رحيل الأخير .. وقال (هيكل):

"قبل ثلاثة أيام من وفاته كان هناك حوار بين (عبد الناصر) والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات في جناح الزعيم المصرى بفندق النيل هيلتون.. واحتد الحوار بينهما وتسبب في ضيق شديد لـ(عبد الناصر).. ولاحظ (السادات) انفعال (عبد الناصر) فقال له (يا ريس أنت محتاج فنجان قهوة.. وأنا هاعمله لك بإيدي).. وبالفعل دخل (السادات) المطبخ المرفق بالجناح وعمل فنجان القهوة لـ(عبد الناصر)".

لكنه أردف بقوله: "لا أحد يمكن أن يقول أن (السادات) وضع السم لـ(عبد الناصر) في هذه الفترة.. لأن هذا الموضوع لا يمكن القطع فيه إلا بوجود دليل مادي".

---

(١) محمد رضا بهلوي هو آخر شاه يحكم إيران قبل الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ واستمر حكمه من ١٩٤١ إلى ١٩٧٩ خلف محمد رضا أبوه كشاه لإيران بعد أن أطاحت قوى التحالف برضا بهلوي خوفاً من جنوحة ناحية هتلر في الحرب العالمية الثانية وتزويده بالنفط.. فقامت قوات التحالف باحتلال إيران والإطاحة بالأب.. وتنصيب ولده محمد رضا بهلوي بدلاً منه.. قبل أن يتمكن رئيس الوزراء الإيراني "محمد مصدّق" على إرغامه بمغادرة إيران.. لكنه عاد إلى إيران بانقلاب مضاد لانقلاب رئيس الوزراء بمساعدة المخابرات الأمريكية والبريطانية.. وأقال مصدّق من منصبه واستعاد عرش إيران.. وفي ١٦ يناير ١٩٧٩ أُرغم الشاه للأبد على مغادرة إيران..إثر اضطرابات شعبية هائلة ومظاهرات عارمة في العاصمة طهران لإعلانه سياسة منع الحجاب وتغيير التعاليم الإسلامية والاضطهاد والظلم.. وبمغادرة الشاه للعاصمة طهران تسلم الخوميني الحكم بعد عودته من منفاه من إحدى الضواحي الفرنسية (نوفل لاشاتو) فيما وفد الشاه محمد رضا إلى مصر لدى الرئيس أنور السادات الذي استضافه حتى مماته في ٢٧ يوليو ١٩٨٠.

نص ما قاله (هيكل) في الجزيرة:

وقال (هيكل) بالحرف الواحد:

"هناك شكوكٌ اتجهت نحو الرئيس (السادات) إلا أن ذلك غير مقبول.. ومن يدعون ذلك يستدلون في ادعائهم بمشهد أنا كنت أحد حضوره.. وهو مشهد جرى في هيلتون قبل الوفاة بثلاثة أيام".

وذكر (هيكل) واقعة فنجان القهوة.. وأضاف أن ذلك حدث أمامه.. وذهب (السادات) إلى المطبخ الصغير التابع للجناح بالفندق.. وأخرج محمد داود المرافق لـ(عبد الناصر) والقائم على خدمته.. وقام (السادات) بإعداد فنجان القهوة.. وقدمه بنفسه لـ(عبد الناصر) الذي تناوله أمامه.

الغريب أن (هيكل) عاد ليقول نافياً التهمة التى وجهها ضمنياً للسادات بقوله في نفس الحلقة:

"يجب إلا يُتهم (السادات) بوضع السم في القهوة بهذه البساطة.. لأن هناك أسبابٌ إنسانية وأخلاقية وعاطفية وعملية تجعل من المستحيل تصديق مثل هذا الاتهام".

وبعيداً عما قيل عن حادثة فنجان القهوة استعرض (هيكل) التاريخ المرضى للرئيس (عبد الناصر) وقال:

اعتقد أن (عبد الناصر) وراءه تاريخ مرضى.. أولاً لأن والدته توفيت تقريباً في نفس سن وفاته.. ومعاناته من مرض السكر والقلب ومجهوده المتواصل الذي لاينقطع.

وقال (هيكل) أن (عبد الناصر) كان لابد أن يتلقى علاجاً طبياً أكثر مما تلقاه.. ولكن ظروف الأمن منعته من تلقى كل ما يستحقه من علاج.

السناوى: (هيكل) نفي.. والناس لا يفهمون

ويقول **عبدالله السناوي** رئيس تحريرجريدة **"العربي"** الناصري وقتها معلقاً:

كأنه ليس من حق (هيكل) أن يروي ما شاهد وعاين بنفسه في برنامج طبيعته من عنوانه: "تجربة حياة".. فقد كان في هذه الحلقة المثيرة يروي المشاهد الأخيرة في حياة الرئيس.. وما جرى في مؤتمر القمة الاستثنائي في سياق الحديث المطول عن ما أسماه **"الطريق إلى أكتوبر.. في صحبة (جمال عبد الناصر)"** كان الكلام في سياقه.. ولم يكن له أدنى صلة بمرور أربعين عاما على رحيل "(عبد الناصر)" أو إثارة شكوك حول طبيعة وفاته بهذه المناسبة.. فقد انتهى "(هيكل)" من تسجيل هذه الحلقة الأخيرة في هذا الجزء من شهادته في "تجربة حياة" قبل نحو ٤ شهور من بثها.. وذلك قبل أن يبدأ

أجازته الصيفية الطويلة.. وقد قيل على نطاق واسع أن (هيكل) يصفي حسابات شخصية مع "(السادات)" والحقيقة أن العلاقة بين الرجلين انفصمت لأسباب سياسية وليست شخصية.

قصة اعتقالات سبتمبر الشهيرة..

ويستطرد السناوى قائلاً في رده على تلك الواقعة:

قصة العلاقة بين الرجلين أكثر تعقيداً مما يروى.. ولا يستطيع أحدٌ أن يدين "(السادات)" بلا دليل قاطع ونهائي ولا يستطيع أحد في الوقت نفسه أن ينفي احتمال أن يكون من يبحثون عن وسيلة للتخلص من (جمال عبد الناصر) قد نجحوا في الوصول إليه بطريقةٍ أو بأخرى.

لكن عموماً وبعد وفاة الرئيس (عبد الناصر) تلاقت نقاط وعوامل مشتركة كثيرة بين (السادات) و(هيكل) أدت إلى حدوث تحالف كبير بينهما أبرزها ما يلي:

- توجس (هيكل) من أن يقوم قادة الاتحاد الاشتراكى وعلى رأسهم علي صبري بتصفية حساباتهم معه.. وكان (السادات) يشاركه نفس الأفكار بخصوص الاتحاد الاشتراكى وعلي صبري.
- تشارك الإثنان فكرة تحييد أميركا واستمالتها.. وكراهية السوفيت واستبعادهم..

سر العملية (عصفور)

كما تحدث (هيكل) في أكثر من حلقة من برنامجه عن تفاصيل العملية (**عصفور**) التى أمر خلالها الرئيس (جمال عبد الناصر) بزرع أجهزة تنصت واستماع داخل مبنى السفارة الأميركية بالقاهرة في ديسمبر ١٩(٦٧) واستمرت العملية قائمة وناجحة تماماً حتى وفاة (عبد الناصر) وتولى (السادات) الحكم.

وقال (هيكل) أن هذه العملية تعد من أنجح وأخطر عمليات التجسس في تاريخ المخابرات في العالم ولا تعادلها في النجاح إلا العملية (**ألترا**) عندما نجحت مخابرات الحلفاء في حل الشفرة الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية مما جعل البريطانيين والأميركيين على علم كامل بكافة التحركات والخطط العسكرية والإستخباراتية الألمانية قبل حدوثها.

وأضاف (هيكل):

كان حوالي عشرة أشخاص في مصر كلها ليس من بينهم (أنور (السادات))يعلمون بسر العملية.. وذلك بأوامر خاصة من الرئيس (عبد الناصر) ذاته.

ويؤكد أن كلاً من (علي صبري[1].. شعراوي جمعة. الفريق محمد فوزي.. سامي شرف)[2] رفضوا بعد وفاة الرئيس (عبد الناصر) أن يعرف الرئيس الجديد (أنور (السادات))بسر العملية "عصفور".. لعدم ثقتهم فيه.. ولأن بعض ما وصلهم عبر تلك العملية به ما يدين الرئيس (السادات).. ويستوجب محاكمته أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي.

(هيكل) يعترف بجريمته

وقال (هيكل) أن العملية (عصفور) ظلت تسير بنجاح وظل تدفق المعلومات جارياً منذ ديسمبر ١٩(٦٧) حتى معرفة الرئيس (السادات) بسرها وكان ذلك قبيل أحداث مايو عام ١٩٧١ وكان هو - أي (هيكل) - من أطلع (السادات) على السر .. وعندها أفشى

---

(١) علي صبري (١٩١٧ - ٣ أغسطس ١٩٩١) سياسي مصري وأحد أبرز قيادات الصف الثاني في مجلس قيادة الثورة المصرية وأحد مؤسسي المخابرات العامة المصرية ومديرا لها منذ ١٩٥٦ إلى ١٣ مايو من سنة ١٩٥٧تولي رئاسة الوزراء عام ١٩٦٤ فكان أول رئيس وزراء في تاريخ مصر يحقق بنجاح تنفيذ الخطة الخماسية الوحيدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية نجحت بنسبة ٢٠ ٪ كما قال سامي شرف.عين نائباً لرئيس الجمهورية ورئيساً للاتحاد الاشتراكي العربي من ١٩٦٥ حتى ١٩٦٧ وأصبح عضواً في اللجنة التنفيذية العليا.. ومساعداً لرئيس الجمهورية لشؤون الدفاع الجوي.. ومسئول الاتصال بين القوات المسلحة المصرية والقيادة السوفيتية في كل ما يخص التسليح والتدريب والخبراء.. وعضو مجلس الدفاع الوطني الذي تشكل في نوفمبر ١٩٧٠ ويتعلق دورء ما يختص بقضيتي الحرب والسلام.. توفي علي صبري في ٣ أغسطس عام ١٩٩١.

(٢) سامي شرف هو أحد مؤسسي المخابرات العامة المصرية وسكرتير الرئيس عبد الناصر الشخصي للمعلومات التحق بالكلية الحربية عام ١٩٤٦ وتخرج منها في ١ فبراير عام ١٩٤٩ وتم تعيينه في سلاح المدفعية.. بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو بأيام التحق بالمخابرات الحربية.. منذ بداية عمله بها وهو يعمل مع الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يكلفه بمهام خاصة حتى أواخر شهر مارس ١٩٥٥ قبل وفاة جمال عبد الناصر تم تعيينه وزيراً للدولة ثم وزيراً لشؤون رئاسة وفي أحداث ١٣ مايو ١٩٧١ تم اعتقاله وسجنه.. وبقي في السجن حتى يونيو ١٩٨٠ ثم تم نقله إلى سجن القصر العيني حتى ١٥ مايو ١٩٨١ حيث أفرج عنه هو وزملاؤه بدون أوامر كما يقول «وجدنا باب السجن مفتوحاً وقد اختفي الضباط والجنود.. فرحنا نتشاور فيما بيننا وأخيرا قررنا الخروج.. ووضعنا احتمالين.. إما أن نتعرض للاغتيال أو نذهب إلى بيوتنا.. وكان الاحتمال الثاني هو الصحيح.. فذهبنا إلى بيوتنا".

الرئيس (أنور (السادات) سر العملية لصديقه كمال أدهم[1] مدير المخابرات السعودية وصاحب العلاقات الوثيقة بوكالة المخابرات المركزية الأميركية والذي نقل المعلومة فور علمه بها للأميركيين مما أنهى العملية الناجحة وأغلق باب كنز المعلومات للأبد.

هكذا ببساطة يخبرنا الأستاذ (هيكل) أن معرفة الرئيس (السادات) بالعملية (عصفور) كانت من خلاله.. وأن إفشاء سرها تم بفضل الرئيس (السادات) وصديقه كمال أدهم رجل المخابرات المركزية الأميركية الأول في الشرق الأوسط الذي نقل له الرئيس (السادات) السر وهو يعلم حقيقته جيداً.. فقد كان صديقاً له منذ أوائل الستينيات وعلاقاته وثيقة للغاية به.. وهو ما يؤكد صدق مخاوف أقطاب مجموعة مايو من معرفة الرئيس (السادات) بسر خطير كهذا.

البحث عن مبررات

وإذا تحدثنا عن علاقة (هيكل) بأحداث مايو ١٩٧١ نتساءل:

لماذا وقف (هيكل) هذا الموقف مع (السادات)؟

هل حباً في الرجل.. وإيماناً بزعامته؟

أم كراهيةً في الآخرين.. وخوفاً من التفافهم حوله إن استقر لهم الحكم؟

وفي سياق بحث (هيكل) عن مبرر لتفسير انحيازه للسادات أثناء تلك الأحداث.. ودوره في ترتيب الانقلاب على الثورة لذا يضغط بشدة على الطبيعة القمعية لأقطاب معسكر التشدد وانحيازهم للسوفيت لكي يثبت خطأ توجهاتهم وصحة موقفه المستقل.؟

الغريب أن (هيكل) يقدم نفس المبررات لتفسير خلافاته مع (السادات) عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ على أساس اكتشافه انحياز (السادات) للأميركيين..

وبهذا يكون (هيكل) هو الشخص الوحيد المستقل الذي يمثل ضمير مصر في مجابهة معسكرى الانحياز للسوفيت وللأميركيين.

ضد أقطاب مايو بانحيازهم للسوفيت..

ثم ضد (السادات) بانحياز للأميركان..

وكأن الأستاذ كان يخفي عليه سابق علاقة (السادات) بالمخابرات الأمريكية.. وتعاونه معها منذ قديم..

---

(١) كان كمال أدهم صهراً للملك فيصل.. وأصبح بعد ذلك رئيساً للمخابرات السعودية.. وكما ذكر هيكل وذكر إسماعيل فهمي في مذكراته أيضاً «التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط» ومصادر أخري عديدة.. فإن كمال أدهم كان علي علاقة وثيقة بالمخابرات المركزية الأمريكية.

١٥ مايو صراع الديمقراطية والديكتاتورية

يتباهى (هيكل) بأنه هو الذي اخترع حكاية أن الصراع على السلطة في مايو ١٩٧١ كان صراع بين الديمقراطية والديكتاتورية لكى يضفي مسحة شعبية على الرئيس (السادات).. ويبرر سر إلقاء كل قيادات البلد وأخلص المعاونين للرئيس (عبد الناصر) في السجون والمعتقلات.

بينما كان الرئيس (السادات) يريد أن يقول للشعب أنه ألقى القبض على رجال (عبد الناصر) لأنهم أرادوا منعه من لقاء وزير الخارجية الأميركى وليم روجرز.

الحقيقة هى العكس

وهكذا فإن استخدام الأستاذ (هيكل) لتلك الحجة يجعله يناقض كتاباته السابقة.. والحقيقة التى لا يريد أن يعترف بها الأستاذ (هيكل) هى أن رجال الرئيس (عبد الناصر) هم الذين كانوا مع ديمقراطية القيادة وعدم انفراد الرئيس (السادات) بالحكم.

والصراع في الأساس كان يدور بين فريقين في السلطة..

- الفريق الأول يرى ضرورة الحفاظ على سياسات (عبد الناصر) داخلياً وخارجياً ويصر على الحل الشامل للصراع العربى الإسرائيلي..
- والفريق الثاني يرى أنه حان الوقت للتراجع عن سياسات (عبد الناصر) داخلياً وخارجياً ولا يصر على الحل الشامل للصراع العربي الإسرائيلي..

وللأسف الشديد انتصر الفريق الثاني الذي كان (هيكل) الرجل الثاني فيه بعد الرئيس (السادات).

لماذا فشلت مجموعة مايو؟

أخفق أقطاب ما أصطلح على تسميته بمجموعة مايو ماعدا علي صبري الذي كان معزولاً عن مصادر القوة منذ إقالته من منصبه في ٢ مايو ١٩٧١ في التصدى لانقلاب (السادات) رغم تكشف نواياه لهم.. ولكنهم لم يشاركوا معه في الخطوات التى اتخذها فيما بعد لتفكيك الثورة.

لكن أستاذنا (هيكل) للأسف الشديد فعل كل ذلك في الفترة من ١٩٧٠ وحتى ١٩٧٤.. وزرع في رأس (السادات).. وأبواق الإعلام آنذاك أفكاراً من نوعية تحييد أميركا.. والمعركة المحدودة لتحريك الموقف.

وهنا يبلغ (هيكل) قمة التناقض عندما يقول فيما بعد أن أهم أسباب خلافه مع (السادات) هو إدارة (السادات) السياسية لحرب أكتوبر ٧٣ بالشكل الذي أهدر من خلاله تضحيات الرجال والأمة العربية كلها وسلمَ مصر للأميركيين.

الطريف أن اكتشاف الأستاذ (هيكل) لهذه الكارثة في يناير ١٩٧٤كان قد سبقه واكتشفه قبله بسنوات ومنذ أبريل ١٩٧١ خصمه اللدود السيد علي صبري.. والذي يصب الأستاذ (هيكل) عليه حمم غضبه في كل أحاديثه.. ونقرأ معا بعض فقرات من أقوال علي صبري كما جاءت في محادثات تليفونية مختلفة ضمتها تسجيلات قضية مايو.. وقبل قيام (السادات) بانقلابه.. وكانت بين علي صبري وشعراوى جمعة بين تاريخي ٢ أبريل و ٢ مايو ١٩٧١.

يقول علي صبري عن (السادات):

- بكره يسلم البلد للأميركان..
- (السادات) بيبيع البلد للأميركان.. وبيهد كل اللى بناه (عبد الناصر) في ٢٠ سنة..
- لن أتحمل المسئولية أمام التاريخ.. وأمام أولادى..
- إذا تم حكم الفرد في مصر وليس أى فرد بل أنور (السادات).. سوف يقوم بتصفية كل العناصر الكويسة في البلد.
- حايضربكوا الجزم.. وأنا ما أقبلش أنى أضرب بالجزمة.

والجميع الآن يجزم بأن أكثر أخطاء (هيكل) فداحةً كان تورطه في تحالفه مع الرئيس (السادات).

حقيقة خلاف (هيكل) مع على صبري

وقد اعترف (هيكل) بحقيقة وجود خلاف بينه وبين على صبري في ثنايا حلقات التجربة وفي معرض حديثه عن واقعة ضم الجامعة الأمريكية فقال:

يرجع دائماً لوثائقه

رجعت لأوراقى في ذلك الوقت ووجدت معارك دارت بين أفكار مختلفة ومواقع تبدو متعارضة وهى في الأصل لم تكن متعارضة.. لكننى في ذلك الوقت وجدت نفسى في موقف متعارض تماماً مع (على صبرى) وأنا أعتقد في رجل بمثل ذكاء (على صبرى) وفي وطنيته بالطبع وفي دوره.. لأنه كان رئيس الوزراء والمسئول عن تنفيذ الخطة الأولى بالكامل.. وهى أكبر دليل تحقق في تاريخ مصر في التنمية.

وهنا كان هناك معسكر الثورة إلى آخر مدى وكان في المعسكر أن القضية وطنية أن أنواع الأشياء مختلفة..

قضية الجامعة الأمريكية

فرزت كل أوراقي سواء ما اكتبه بخطي أو أوراق لنماذج للقضايا.. التي كانت موجودة عندي.. فوجدت قضية الجامعة الأمريكية.. التي وضعت تحت الحراسة بعد الحرب وظهر رأي يتزعمه الدكتور لبيب شقير بتأييد (علي صبري) ينادي بضمها للجامعة المصرية.. ككلية من الكليات الجامعة.. وأنا وغيري كنا نقف في هذا الموضوع لأن موضوع الجامعة الأمريكية في القاهرة وفي بيروت.. وكنت أعرف أساس التبشير الموجود بهم.. وعلى كل الأحوال هذه المؤسسات قامت بدور تعليمي ينبغي المحافظة عليه.. فالحفاظ على الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت مسألة لها قيمة الحمد لله أنه ما بين التيارات المتعارضة (جمال عبد الناصر) لأنه لديه القرار.. وهو الذي يقود المعركة.. كلنا كنا نحتكم إليه وأظنه في هذه الفترة من حوار أو صدام الداخل أو خلاف التيارات وحركتها في الداخل أظن أنها من أحسن أدواره في اعتقادي.. فكم من المرات كان حاسماً.. واعتقد أننا لجأنا إليه كثيراً لوقف تجاوزات وجدناها قد تكون على خطأ أو على صواب أنا في ذلك الوقت رجوته في ضم صوته لأناس كثيرين لوقف ضم الجامعة الأمريكية.

❖❖❖